الفصل السابع

مستقبل محو الأمية وتعليم الكبار في المجتمع السعودي(*)

مقدمة:

لقد روج الاستعمار طويلا لفكرة التفوق العنصري، وكان بهذا يضع مبررا أساسيا لصرفنا عن الأخذ بأسباب التقدم. ومن وجهة نظره، كان هذا أمرا معقولا ومقبولا، ولكن مما يؤسف له حقا أن بعضا من أبناء شعوبنا قد صدق تلك المزاعم وروج لها زمنا غير قصير. ولقد كان منطق أصحاب ذلك الشعار سقيما، ولم يكن له من دعامة، غير سلاح القوة والبطش ورداء العلم المزيف. برروا التخلف بالتخلف، أى أنهم فسروا التخلف الحضارى للشعوب المستعمرة بالتخلف فى القدرات العقلية، وحصروا أدلتهم فى نطاق ضيق جدا من التاريخ البشرى، وفى نطاق أضيق كثيرا من حياة البشر على الأرض[1]. ولكن التاريخ الإنسانى - وما قبل التاريخ - أرحب يدا من تلك الحقبة القصيرة، وحجته أقوى. لقد كان كثير من المجتمعات النامية أو (المتخلفة) اليوم فى قمة الحضارة عندما كانت البلاد المتقدمة اليوم فى غاية التخلف، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو مجتمع الجزيرة العربية عقب ظهور الإسلام.

وسكان الدول النامية يعيشون اليوم فى فترة من هذه الفترات التى ستترك طابعها على مستقبلهم، فالمواصلات السهلة، وأجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية قربتهم - فكريا وعمليا - من ذلك العالم المتقدم سواء فى الشرق الاشتراكى أو فى الغرب الرأسمالى، فبهرهم بريقه وهالهم أن يكونوا على هذه الدرجة من التخلف، بينما

(*) نشرت بمجلة كلية التربية، جامعة الملك عبدالعزيز (جامعة أم القرى الآن)، مكة المكرمة، العدد الثالث عام ١٩٧٧.

ينعم غيرهم بثمرات التقدم. ولكن فاتهم أن لكل مجتمع صيغه وأساليبه، وقيمه وطموحاته، كما فاتهم أن وصول الشعوب المتقدمة إلى هذه المرحلة المتطورة لم يكن وليد الصدفة العارضة التى تجئ بغير مقدمات، وإنما وصلت هذه الشعوب إلى هذا المستوى، بعد أن عالجت قضاياها الاقتصادية والاجتماعية ـ أو كادت ـ وبعد أن بذلت الجهد والعمل المدعمين بالعلم والتكنولوجيا الحديثة.(٢)

ومن هنا فمن العبث أن تعول البلاد النامية على نمو تلقائى سريع، وإنما لابد من «كفاح» و «نضال». ومقتضيات النضال ضد التخلف تقع فى مستويات مختلفة على حسب ما إذا كنا بصدد الأهداف التى يتعين أن تستهدفها كل سياسة تنمية ترمى إلى وضع حد للتخلف، أو إذا كنا بصدد الوسائل التى يتعين استخدامها لبلوغ تلك الأهداف. وسوف يقتصر تحليلنا على البدء بالأهداف، حيث أن الوسائل من السهل تحديدها بعد معرفة الأهداف.

ويمكن تقسيم الأهداف إلى أهداف نهائية وأهداف وسيطة. والأهداف النهائية هى طبعا التحسين الجوهرى فى مستوى معيشة السكان جميعا، وبناء اقتصاد قادر على إشباع حاجات السكان المتزايدة أقصى إشباع ممكن وإقامة هيكل اقتصادى يوفر لكل مواطن ازدهار شخصيته وتفتح قدراته. وهذا لا يمكن بلوغه إلا بفضل الارتفاع بمستوى الاستهلاك إلى حد معقول، وتوفير مستوى مرتفع من التعليم، والقضاء النهائى على الأمراض المتوطنة.

وإذا كانت تلك هى الأهداف النهائية للنضال ضد التخلف، فإنه من الواضح أن لابد لبلوغها من تحقيق بعض الأهداف الوسيطة التى تعتبر شرطا لتحقيق الأهداف النهائية. ومن بين الأهداف الوسيطة، الارتفاع المنتظم بانتاجية العمل بشكل يجعل من الممكن لكل فريق أن يقدم فى وقت معقول أكثر بكثير مما يقدمه من منتجات صناعية أو زراعية حاليا وهو يستخدم وسائل الإنتاج التافهة التى لا يتاح غيرها لمعظم العاملين فى البلاد المتخلفة(٣).

والمجتمع السعودى، كغيره من المجتمعات النامية، يجد لزاما عليه أن يدخل فى معركة التحدى ضد التخلف عن طريق التنمية، وذلك بتخليص اقتصاده من آثار

سيطرة مصدر واحد رئيسى للدخل القومي، والعمل على أن يوفر لنفسه القوى العاملة، والعمل على تغيير عقلية المواطنين ونقلهم من حضارة البادية ـ التى مازال عدد كبير ـ على عهد قريب بها ـ إلى الحضارة الصناعية مع تجنيبهم ما يصاحب ذلك من ويلات تعانى منها الأمم الصناعية، والعمل على إحداث التكامل بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية، فيسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية لأفراد الشعب وضمان الحريات الأساسية للمواطنين، وإقامة ذلك كله على أساس قوى من الإيمان بالإنسان صانع التنمية والمستفيد منها(٤).

لا تنمية مع وجود «الأمية»:

إذا كانت التنمية بناء على هذا هى الوسيلة الأساسية كى يتخطى المجتمع صور التأخر ويقفز إلى مراحل التقدم، إلا أن المضى فى طريق التنمية يستلزم القيام بتلك الخطوة التى تحدث عنها الفيلسوف الانجليزى المعروف (بيكون) فى منهجه الاستقرائى وهى الجانب السلبى منه، بمعنى إزالة العوائق التى تحول بيننا وبين تحقيق الهدف المطلوب. وإذا فتشنا بين العوائق والعراقيل، فسنجد ظاهرة الأمية تقف على رأسها كأكبر وأخطر الأمراض الثقافية المستوطنة فى بلادنا الإسلامية مع الأسف الشديد.

لكن السؤال الذى قد يثور، هو لماذا ننظر إلى هذه المشكلة بكل هذا الفزع والجزع، وقد مرت على مجتمع الجزيرة العربية نفسه فترة من الزمان انطلقت منه أكبر وأعنف ثورة عرفها التاريخ وضعته فى طليعة التقدم والتطور فى العالم، بل ورائدا من رواد التجديد والتحديث، وفى نفس الوقت كانت الأمية فيه متفشية بطبيعة الحال بدرجة تفوق ما هى عليه فى الوقت الحاضر نوعا وكما؟

الحق أنه لكى نجيب على هذا التساؤل، لابد أن نضع بين أيدينا عددا من المؤشرات التى تؤكد ضرورة إزالة هذه الوصمة، بعضها نابع من عقيدتنا وقيمنا الأصيلة، والبعض ينبع من متطلبات العصر وظروفه، والبعض الآخر يعكس آمال هذا المجتمع وتطلعاته. أما أهم هذه المؤشرات فهى:

العقيدة الإسلامية: فإذا كان الإسلام قد ظهر على أرض هذه البلاد وقادها إلى أعلى

ما يمكن أن تطمح إليه الأمة الإنسانية بالرغم من تفشى الأمية، إلا أن الذى ينبغى أن نضعه نصب اعيننا أن هذا (الوضع) لم يكن ليجيزه الإسلام، بل حاربه بعنف وضراوة، فتعددت الآيات وكثرت الأحاديث التى تؤكد للمسلمين ضرورة أن «يتعلموا»، من ذلك : قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. و ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] و ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٢]. و ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. و ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ [الاسراء: ١٠٧]. و ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [الحج: ٥٤]. و ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، و ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. و ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. و ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤].

وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى»، و«طلب العلم فريضة على كل مسلم»، و «اطلبوا العلم ولو بالصين»، و «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطى»، و«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها». و «لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة». و «لا ينبغى لجاهل أن يسكت على جهله ولا لعالم أن يسكت على علمه». و «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة». و «أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع، وإن استغنى عنه أغنى نفسه». «أقرب الناس من درجة النبوة. أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد

فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل». و «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم». و «أن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى يجلس مجالس الملوك». و «لكل شئ فترة، فمن كانت فترته إلى العلم فقد نجا». و «كونوا علماء صالحين، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء، واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى». و «إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب»(٥). و «يبعث العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اشد، حتى تشفع للناس».

تعقد العمل الإنتاجي: فلم يعد العمل الإنتاجي الآن سواء فى الحقل أو الورشة أو حتى المنزل يدويا بسيطا يمكن أن يقوم به إنسان أمى، بل أصبح فى معظمه عملا معقدا يتطلب دراية بعدد من المفاهيم والنظريات العلمية. إن النجار الأمى يعيش ويعمل فى مجتمع مثل المجتمع السعودى، كثيرا ما يعالج فى أثناء عمله نهارا قطعا مستطيلة من الخشب، ومن ثم يجب فى المساء، بمساعدة معلم، وبالاستعانة بمواد تعليميه محددة، أن يتعلم وأن يفهم تعريف «اقليديس» للأحجام والتطبيق المحتمل لهذا التعريف على الأشياء الأخرى المستطيلة غير قطع الخشب. ويجب أن يساعده هذا التحصيل بسهولة، على أن يحصل على معرفة كتابية بعبارات صغيرة تتضمن ألفاظ: المستطيل، والزاوية، والسطح، والشكل، والخط المستقيم، بالإضافة إلى بعض المبادئ الهندسية المعبر عنها بما يقابلها من لغة الأعداد والرسوم.

كذلك فإن العامل الأمى الذى يعمل فى أثناء النهار، فى قسم الصباغة بأحد مصانع النسيج ويقضى طوال يوم عمله ويداه مغموستان فى وعاء الألوان، يحتاج إلى تعليمه المبادئ التى تحكم تركيب الألوان والمتواليه التى تنظم درجة اللون، والتكرارات التى تحكم درجة اللون فى تطبيقاتها الأخرى، على المقاييس الهندسية، والرموز الصحيحة، بالإضافة إلى عبارات صغيرة تبين العلاقة بين العناصر الذاتية والعناصر الموضوعية فى الطيف اللونى.. وهكذا(٦).

قيادة الكبار للمجتمع: فعلى مستوى العمل الإنتاجى، نجد أن هناك سنا محددة لا يستطيع الفرد أن يلتحق بالعمل إلا ابتداء منها وهى عادة لا تقل عن ١٨ سنة، ومن

هنا نجد أن الكبار هم الذين يقومون بكافة الأعمال الإنتاجية التى هى قوام حياة أى مجتمع من المجتمعات، وهذا يلقى على المجتمع مسئولية كبرى تجاههم، بمعنى أن يكون هؤلاء الكبار قوة «محتملة» لما يترتب على عدم ذلك من أسوء الآثار التى ليس هنا مجال الإفاضة فى الحديث عنها.

أما على مستوى العمل الإدارى والتنظيمى، فالكبار أيضا هم الذين يقومون به، ومن المعروف أن العمل الإدارى والتنظيمى بالنسبة للمجتمع أشبه بالجهاز العصبى بالنسبة للجسم الإنسانى، ومن ثم تتضح أهمية أن يعمل على أعلى درجة من السلامة والصحة وجودة التنظيم ويسر الحركة وسهولة الاتصال. وهذا مما يصعب تحقيقه لو شاعت بين هؤلاء الكبار «الأمية» التى نتحدث عنها.

ثم إن «التوجيه» الذى يتم على مستويات مختلفة، يكون بطبيعة الحال فى أيدى الكبار أيضًا، والتوجيه الذى نقصده هنا هو «تشكيل الرأى العام» ودفعه فى مسارات معينة. ومعروف الدور الخطير الذى يلعبه الرأى العام فى تسيير الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية إلى الدرجة التى تجعله يستطيع أحيانا أن يضعف أو يمحى قيما قائمة ويحل قيما أخرى محلها. ومن ثم تبرز أهمية أن تكون هذه القوة ذات التأثير الواسع على الجماهير، قوة واعيه، مدركه، متعلمة.

التزايد المعرفى: ولعل من أبرز سمات عالمنا المعاصر، ذلك التزايد الهائل والمطرد المعرفى كما وكيفا، نظرية وتطبيقا، والذى يتعين على الأفراد ملاحقته ومواكبته على قدر الجهد حتى لا يحكم عليها بالتخلف. وليس من شك فى أن أساس مواكبة هذا التطور فى مجال المعرفة فكرا وتطبيقا، لا يتأتى إلا عن طريق التعليم، الذى تعمل المجتمعات المتقدمة والآخذة بأسباب التقدم على توفير فرصه، ليس لصغارها فحسب بل لكبارها كذلك، تمكينا لهم من اللحاق بركب العمر والتكيف وفقا لمقتضياته، ومن ثم دواعى التطور الاجتماعى(٧).

تعقد الحياة الاجتماعية: ومن ثم اضطرار الفرد إلى الاشتراك فى مؤسسات اجتماعية عديدة لكل منها قانون، وأسلوب للعمل، ولكل فرد فيها دور، وعليه واجب. فلم يصبح الفرد مجرد عضو فى أسرة، وإنما هو عضو فى جميعة دينية أو اجتماعية أو

ثقافية، وله الحق فى استخدام المستشفيات، ومراكز الخدمة الاجتماعية والمرافق وغيرها، وعليه واجب المحافظة عليها جميعا، بل والاشتراك فى إدارتها وتوجيه سياستها. وإذا لم يكن الفرد متعلما سهل أن يخدع عن حقه، وألا يعرف كيف يصل إليه، بينما المتعلم أقدر على الاستفادة من المؤسسات الاجتماعية وعلى المحافظة عليها، وعلى توجيهها وتطويرها(٨).

قصور النظم التعليمية النظامية: عن أن تستوعب كافة الأعداد التى تطرق أبوابها طلبا للتعليم مما يجعل البعض ينصرفون عنها ليتوهوا فى خضم الأعمال التجارية أو الزراعية أو الصناعية فيحرموا من التعلم أصلا. هذا بالإضافة إلى ما قد يصعب على هذه النظم أن تقدمه لطلابها من تربية شاملة متكاملة للكثير من جوانب المعرفة، حتى إذا تخرجوا ومرت عليهم سنوات قليلة شعروا بالكثير من التخلف ومن «الأمية الثقافية» إذا صح هذا التعبير، وإن كانوا يجيدون القراءة والكتابة، مما تظهر معه الحاجة إلى تعليم مستمر خارج الأوعية الرسمية النظامية القائمة.

وإذا كانت هذه هى «ظروف: و «عوامل» تحتم على المجتمع السعودى أن يسرع الخطى للقضاء على الأمية وبذل أقصى الجهود وأمضاها فى سبيل تربية الكبار، فإن مثل هذه الجهود تقتضى قواعد ومبادئ لابد من السير وفق خطاها، كما أن هناك محاذير وثغرات لابد من سدها، ذلك أن مسافة التخلف بيننا وبين الشعوب التى سبقتنا فى مضمار التقدم لا تسمح لنا بإضاعة وقت آخر نتيجة أخطاء يمكن تلافيها بالسير البصير والعمل الواعى والفهم العميق. وسوف نعرض فيما يلى لبعض المبادئ والقواعد التى لابد من مراعاتها فى القيام بالجهد اللازم لمحو الأمية وتعليم الكبار.

***

الفهم الواعى لمحو الأمية وتعليم الكبار:

كثيرون لا يحفلون بأهمية تحديد المفاهيم التى يقوم عليها عمل ما، مصورين ذلك بأنه من باب «الشقشقة اللفظية» و «التفلسف» والمناقشات البيزنطية، مشيرين إلى أصحاب العلوم الطبيعية والرياضية، وكيف أنهم يمضون قدما دون أن يضيعوا وقتا

فى سبيل شرح معانى المادة والطاقة والعنصر وغير ذلك من مصطلحات وهم لذلك متقدمون.

إن ذلك بعيد تماما عن الحق، ذلك أن مجال البحث فى المسائل الاجتماعية ما زال خاضعا للخلافات فى الرأى لأن مثل هذه المسائل لا نستطيع أن نعزلها عن الظروف التى توجد فيها، بعكس المسائل الطبيعية، ومن ثم كان جوهريا أن يحدد الباحث سلفا، ماذ يقصد بهذا المفهوم أو ذاك. هذه ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن غياب الفهم الواعى والبصر الدقيق بمعانى المفاهيم المستخدمة يضيع علينا الكثير من الجهد اللفظى والجهد التنفيذى، ومن أجل هذا فإننا نؤكد هنا أن الخطوة الأساسية التى لابد أن تسبق أى جهد فى المملكة فى هذا المجال، هى التحليل العلمى الدقيق لمعنى الأمية وتعليم الكبار، وهو ما نحاول أن نقوم بشئ منه الآن.

فبالنسبة لمحو الأمية، نجد أن هذا المفهوم قد أصابه تغير وتطوير مر بمراحل، أولها محو الأمية الهجائية الذى يقتصر على معرفة المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والحساب، وعرفتها لجنة السكان التابعة للأمم المتحدة، اليونسكو عام ١٩٤٨ بأنها «القدرة على قراءة رسالة بسيطة وكتابتها بلغة من اللغات»[٩]. وقد لوحظ قصور هذا المفهوم عن تحقيق الغرض من محو الأمية نتيجة انفصال برامجه عن أى نشاط تربوى واجتماعى واقتصادى وخلوه من المضمون الذى يجعل للتعليم قيمة فى حياة الكبار ويفتح أمامهم الطريق لمواصلة التعليم.

ولا نريد أن نمضى طويلا فى التغيرات المتعددة التى لحقت هذا المفهوم، وإنما يهمنا أن نثبت ذلك التصور الذى نوقش ثم أقر على المستوى العربى، وذلك فى المؤتمر الذى انعقد فى الاسكندرية عام ١٩٦٤، إذ ذكر أن الأمى هو «كل من تعدى سن العاشرة، وليس فى مدرسة، ولم يصل إلى المستوى الوظيفى فى القراءة والكتابة باللغة العربية، ويكون الحد الأدنى لهذا المستوى هو القدرة على:

١ ـ قراءة فقرة من صحيفة يومية بفهم وانطلاق.

٢ ـ التعبير الكتابى عن فكرة أو أكثر تعبيرا واضحا.

٣ ـ كتابة الأعداد وإجراء العمليات الحسابية الأساسية التى تتطلبها حياة الفرد اليومية(١٠).

أما بالنسبة لتعليم الكبار، فهناك مبادئ لابد من وضعها فى الاعتبار عند النظر فى التعريف، هذه المبادئ هى:

أ ـ أن التربية لا تنتهى ولا تستكمل بمجرد انتهاء الفرد من المدرسة والتحاقه بالعمل، فهى عملية مستمرة موصولة طوال حياته.

ب ـ وهذه العملية التربوية المستمرة تشمل جميع جوانب الحياة، بما فى ذلك نمو الفرد كفرد من النواحى الفنية والعقلية والجسمية والمهنية، فضلا عن النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

جـ ـ أن الكبار يرغبون فى التعلم وهم قادرون عليه باستمرار، غير أن قدرتهم على الدراسة والتعلم قد تضعف نتيجة عدم الاستخدام والانقطاع عن التدريب والممارسة والانفتاح على الجديد: ولهذا فإنه ينبغى توفير الفرص لاستمرار العملية التربوية حتى تنمو مهارات التعلم لديهم، وحتى تزداد قدراتهم على تجديد الدوائر التى يتفاعلون معها(١١).

وبعد هذا يمكننا أن نقول أن تعليم الكبار هو «مجهود وسيط تعليمى خارجى لتنظيم السلوك الرئيسى فى المجتمع، ويتضمن هذا بعض الاستمرار فى علاقة متبادلة بين الوسيط والدارس حتى تظل العملية التعليمية تحت اشراف وتوجيه مستمرين»(١٢).

ومن هنا يتبين لنا أن محو الأمية إنما هو أحد وظائف تعليم الكبار، وأنه بالتالى ليس هناك تطابق تام بين المفهومين.

بيد أنه سواءكان الأمر بالنسبة لمحو الأمية أو تعليم الكبار، فإن الاتجاه السائد هو أن يكون التعليم وظيفيا أى أن يكون محواً للأمية متكاملا مع تدريب متخصص، يكون فى العادة ذا طبيعة فنية. وهذا يترتب عليه النتائج الآتية:

١ ـ أن تنظم برامج محو الأمية وتعليم الكبار داخل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٢ ـ انتقاء أهم المشروعات إثراء فى التنمية وتوجيه برامج محو الأمية وتعليم الكبار إلى مساعدتها على تحقيق أهدافها المرسومة.

٣ ـ أن يتعلم الدارسون الأشياء التى تساعدهم على حل مشكلاتهم فى العمل والحياة، وهذا ما يقصد بالوظيفية.

٤ ـ التوجه بالتعليم إلى فئات معينة من السكان متجانسة الغرض لمحاولة تغيير سلوكها باستخدام النهج الدراسى المتكامل.

٥ ـ التنويع فى البرامج المقدمة حسب الاختلافات القائمة بين فئات الدارسين.

٦ ـ تعليم الموضوعات المختلفة متكاملة بعضها مع بعض.

٧ ـ عدم تجزئة مراحل الدراسة إلى مرحلة مكافحة ثم مرحلة متابعة(١٣).

والتطبيق العملى لتعليم الكبار بالمعنى الذى ذكرناه، يتطلب منا طرق مجالات مختلفة وعدم الاقتصار على مجال دون آخر، من هذه المجالات:

أ ـ محو الأمية، وهذا المجال يتعلق بتعليم الكبار الذين حرموا من التعليم كلية ولم تتح لهم فرصة الانتظام فى المدارس.

ب ـ التدريب المهنى، بالتزود بالمهارات التى يحتاج إليها الأفراد فى أداء أعمالهم.

جـ ـ التثقيف الصحى والإرشاد الزراعى، وذلك لما هو معروف من انخفاض المستوى الصحى بين الأفراد وحاجة العاملين فى الزراعة إلى كثير من المعلومات والمهارات والاتجاهات المطلوبة للإنتاج الزراعى وتطويره.

د ـ التعليم الوظيفى، وهو ما سبق أو أوضحناه.

ز ـ تنمية المجتمع، وهنا يتجه التعلم إلى الاهتمام بجميع الجوانب التى تؤدى مجتمعة ومكتملة إلى تطوير المجتمع من مختلف جوانبه.

حـ ـ الثقافة العمالية، وذلك لإعداد الكوادر العمالية وخلق القيادات بينهم وتكوين رأى عام مستنير بينهم(١٤).

الاطار العربى للقضية:

والحق الذى يجب أن نذكر أنفسنا به دائما هو أن الكثير من قضايانا على كافة أنواعها ودرجاتها سواء فى المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية يمكن أن نضع أيدينا على أول الطريق الصحيح المؤدى إلى مواجهتها وعلاجها علاجا شافيا، إذا وضعناها فى الإطار العربى، ذلك أنه غنى عن البيان الإشارة إلى ما بين البلدان العربية من أوجه التشابه والتماثل والتفاعل مما يجعل مشكلات كل دولة على حدة تؤثر على غيرها من الدولة الأخرى، وتتأثر بها، وليس المجال هنا متاحا بحيث نشير إلى أمثلة تؤكد هذا وتوضحه، فنكتفى بالتلميح والتنبيه. ومن هنا فإن الخطوة الجوهرية فى مواجهة هذه المشكلة فى المجتمع السعودى هى ألا ينظر إليها فى إطارها الوطنى الإقليمى فقط، بل لابد من وضعها فى الإطار العربى الشامل.

هذا وقد دلت نتائج البحث الذى أجرته لجنة متابعة قرارات مؤتمرى الاسكندرية عام ١٩٦٤ وعام ١٩٧١، وهى اللجنة التوجيهية التى كونها الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار لعمل بحث فى أوضاع الأمية فى البلاد العربية واستراتيجيات مكافحتها ـ والتى عقدت فى الدوحة فى الفترة ٢٢ ـ ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٥ على حقائق نذكر منها:(١٥)

ـ دلت إحصاءات عام ١٩٧١ على أن نسبة المستوعبين فى التعليم الابتدائى من الأطفال العرب ممن هم فى سن الالزام حوالى ٦٦ بالمائة، وهذا يعنى أن عددا قريبا من نصف الأطفال، هم رصيد جديد يضاف إلى عدد الأميين الوافدين، ومن ناحية أخرى، فإن نسبة المقيدين فى فصول محو الأمية بالنسبة إلى عامة الأميين أقل من ١ بالمائة من مجموع الأميين.

ـ وإذا كانت الأمية فى الوطن العربى، تعتبر نتيجة التخلف، فهى سبب له كذلك، وللأسف فإن الجهود التى بذلت حتى الآن فى مواجهتها لم تسر وفق استراتيجية محددة، وإنما هى تتردد بين هذه الاستراتيجية أو تلك، لا تأخذ منها إلا الشكل.

ـ إن هذا يجعلنا نلح على خطر هذه المشكلة وضرورة أن نخطو ولو خطوة واحدة فى طريق الحل. والبداية لابد أن تتمثل توفير المادة العلمية سواء من إحصاءات أو بيانات أو تقارير عن الجوانب المختلفة للمشكلات وما يتصل بها.

- أن الانتقال بالمجتمع خطوات رئيسية فى سبيل التنمية الاجتماعية والاقتصادية ينبغى أن يرتبط بجهود واضحة تبذل لتعليم القراءة والكتابة والحساب.
- إعطاء الأولوية فى الجهود المبذولة لتلك الفئات التى تعانى تأخرا أكثر من غيرها وذلك مثل فئات البدو والفلاحين والنساء.
- تحقيق التكامل بين التعليم المدرسى وغير المدرسى، أى بين التعليم النظامى النمطى وبين تعليم الكبار وذلك لمعالجة ظواهر الإحجام والتسرب والارتداد إلى الأمية.
- ضرورة أن تستوعب المدارس العربية الابتدائية جميع الأطفال الذين يبلغون سن التعليم، وأن يكون ذلك بطريق الإلزام.
- الارتباط بفترة زمنية معينة تنقسم إلى خطوات ومراحل، كل مرحلة تختص بمواجهة جزء أو جانب من المشكلة.
- تحقيق قومية المعرفة العربية، وهذا هو التصور العملى الممكن لتأهيل القدرات العربية واستثمار الموارد البشرية فيما هو أنفع للتقدم والتطور.

التخطيط التربوى.. جزء من خطة التنمية:

مهما كانت الفلسفة الاجتماعية التى يريد أن يعيش المجتمع السعودى فى إطارها مختلفة عن غيرها من الفلسفات السائدة فى كثير من دول العالم، إلا أنه لا مفر من تبنيه للتخطيط فلسفة وطريقة فى كل مجال على حدة، وفى الإطار العام ككل. ومجال محو الأمية وتعليم الكبار من أشد المجالات حاجة إلى هذا نتيجة لعوامل وظروف متعددة يمكن أن نذكر منها:

١ - أن المجتمع السعودى يحاول أن يجتاز الهوة الاقتصادية بينه وبين المجتمعات الأكثر تصنيعا فى أقل فترة زمنية ممكنة. ومن الملاحظ أن الفروق اليوم بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة هى أشد وأقوى مما كانت عليه فى الماضى. وقد يترتب على ذلك أن يواجه المجتمع السعودى - وهو من الدول حديثة النمو - مشاكل جديدة لم تواجهها الدول المصنعة قديما والتى كان لها الأولوية فى ميدان التصنيع. ويتطلب اجتياز هذه الهوة أسلوبا جديدا للتصنيع والتنمية يختلف عن أسلوب الحرية الاقتصادية الكاملة، مع ما قد يتضمنه ذلك من إسراف فى

استخدام الموارد المتاحة مهما كانت كثيرة، واستخدام أسلوب التخطيط لمحو الأمية وتعليم الكبار هو وسيلة جديدة لاتمام عملية التصنيع والتقدم(١٦).

٢ ـ شعور القائمين بالتخطيط الاقتصادى شعورا متزايدا يوما بعد يوم بأن التخطيط الاقتصادى لا يبلغ أهدافه ولا يكون صحيحا إلا إذا رافقه وداخله التخطيط للتربية تخطيطا يلبى حاجات الاقتصاد. يضاف إلى هذا أن أهمية العناية بالعنصر البشرى لم تستبن فقط لمخططى الاقتصاد والتنمية الاقتصادية، بل استبانت لجميع الذين درسوا المشروعات الصناعية أو التجارية أو غيرها. إذ استبان وبعد فترة من سيطرة نظام «تايلور» الذى أهمل الإنسان ونظم العمل فى المصانع تنظيما يخدم فيما يرى أهداف الإنتاج وحده ـ أن إهمال الإنسان فى الصناعة الحديثة، وإهمال الكتل البشرية العاملة فى الصناعة وفى المؤسسات الأخرى لا يؤدى إلى مأساة الطبقة العاملة فحسب، وإنما يؤدى إلى مأساة الإنتاج نفسه(١٧).

٣ ـ ضرورة مسايرة التربية للتقدم السريع والتغير السريع فى ميدان العلم. فلقد ثبت أن التخطيط التربوى، إن كان أساسيا لأهداف التنمية الاقتصادية دوما، فهو أكثر أهمية وضرورة لأهداف التنمية هذه فى عصر مثل عصرنا الحالى الذى تتقدم فيه الحياة الاقتصادية تقدما سريعا وتحدث فيه تحولات أساسية فى شتى المجالات وخاصة فى التكنولوجيا.

وقد يظن البعض هنا أن هذا يتعارض مع الدستور الإسلامى للحرية الاقتصادية والاجتماعية، هذا غير صحيح، ذلك أن قضية الحرية فى الإسلام لا تتجلى فقط فى إتاحة الفرصة لكل فرد ليعمل بما يريد، وكيف يريد، فالتحلل من القيود والالتزامات على أنه المعنى الشامل للحرية، إنما هو تصور سلبى يستحيل أن يقوم عليه مجتمع. إن نظرة الإسلام للحرية، نظرة إيجابية توجب تقدير المسئولية، مسئولية الالتزام والأخذ بعين الاعتبار ما يعرف عادة باسم مصالح الآخرين، فالتنظيم والحساب والتقدير والتوقع، أمور ضرورية لاستكمال الحرية فى نهاية الأمر. لقد مضى الزمن الذى يستطيع فيه الإنسان أن يسير فى الشارع حرا كما يشاء غافلا إشارات المرور الحمراء والصفراء والخضراء التى أصبحت ضوابط ضرورية لتنظيم السير والمحافظة على حياة الناس فى الشارع(١٨).

وتدل البيانات التى توافرت لدينا حول ٩٨ بلدا، أن ٨٦ بلدا منها تملك خططا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأن ٨٠ بلدا منها تملك خططا تربوية، تشكل ٧٠ خطة منها أجزاء هامة من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا نرى أن الرغبة فى إقامة ارتباط بين التربية والاقتصاد قد انعكست على الخطط الحالية بعد أن كانت الخطط التى سبقتها خلوا منها. ونقع على مثل هذه الرغبة الخاصة فى أفغانستان (فى الخطة الثالثة ١٩٦٧ ـ ١٩٧١)، وفى البرازيل (فى خطتها العامة ١٩٦٧)، وفى الصين فى خطتها طويلة الأجل، وفى الهند (فى تقرير لجنة التربية العامة ١٩٦٤)، وفى إيران (فى الخطة الرابعة)، وفى ماليزيا (فى خطة ١٩٦٥)، وفى باكستان (فى الخطة الثالثة[١٩].

ويجدر بنا الإشارة إلى أن المملكة العربية السعودية قد سارت هى الأخرى فى مسيرة التخطيط، وجاءت أول إشارة لذلك فى الأمر التعميمى رقم ٧٧٢٥ فى ١٤/ ٥/ ١٩٧٨ هـ (٢٥/ ١١/ ١٩٥٨م) الذى أصدره رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الوقت وهو الملك فيصل، حيث جاء فيه: «بالنظر لأهمية إرساء اقتصادنا القومى على أسس تكفل مصلحة البلاد ورفاهية أبنائها، وإلى ضرورة المبادرة إلى وضع برنامج طويل الأمد للتنمية الاقتصادية وزيادة الدخل القومى، فقد عهدنا إلى لجنة من الخبراء بدراسة أفضل التدابير الواجب اتخاذها للوصول إلى هذا الهدف ووضع التخطيط اللازم للمشروعات الإنتاجية وخاصة المتعلقة منها بالزراعة والصناعة والتعدين والمواصلات»[٢٠].

وهكذا بدأت فكرة التخطيط للمشروعات الإنتاجية عن طريق وضع برنامج طويل الأمد للتنمية، ثم حدثت خطوة أخرى حيث وصلت لجنة من البنك الدولى فى شهر ذى القعدة ١٣٧٩ هـ (مايو ١٩٦٠) لإبداء الرأى عن خير الوسائل لتنمية موارد البلاد. وقد أوصت اللجنة بإنشاء مجلس للتخطيط، صدر به بالفعل المرسوم الملكى رقم ٥٠ فى ١٧/ ٨/ ١٣٨٣ هـ (٣/ ٢/ ١٩٦١) بإنشاء المجلس الأعلى للتخطيط.

ولقد أدت هذه الجهود إلى الإحساس بضرورة وضع خطة عامة وشاملة للتنمية ورسم الأهداف الاقتصادية والاجتماعية وتحديد سياسة التنمية وتبين الأولويات

والمشروعات فى صورة متكاملة تستغرق كل قطاعات الحياة فى المجتمع السعودى، ولقد كان هذا الإحساس وراء إنشاء الهيئة المركزية للتخطيط، لتحل محل المجلس الأعلى للتخطيط وذلك فى ـ ١٢/ ٩/ ١٣٨٤ هـ الموافق ١٤، ١٥/ ١/ ١٩٦٥م[٢١].

التنظيم الادارى:

فالملاحظ فى أى مجتمع من المجتمعات سواءكان حديثا أو قديما، وسواءكان متقدما أو متخلفا أن أى برنامج للتنمية الاقتصادية أو الاجتماعية، أو لتحسين التعليم أو الصحة أو ظروف المجتمع بصفة عامة، لا يمكن أن يتحقق له النجاح المنشود إلا إذا كان مدعما بجهاز إدارى سليم، وقائما على أسس ومبادئ إدارية قومية، ومتفقا مع ظروف وإمكانيات الدولة[٢٢].

وإذا كانت كافة المجتمعات بمثل هذه الحاجة إلى التنظيم الإدارى الكفء لحسن سلامة العمل ومسيرته سعيا لتحقيق الأهداف المرجوة، إلا أن هذه الحاجة تصبح أشد إلحاحا بالنسبة لمجتمع مثل المجتمع السعودى، فى مجال محو الأمية وتعليم الكبار، ما دمنا نعول على هذه كوسيلة جوهرية للانطلاق بهذا المجتمع نحو آفاق أكثر إشراقًا، ويبرز هذه الضرورة عدد من الاعتبارات مثل:

١ ـ أن النجاح أو الفشل فى إدارة مشروعات محو الأمية يرتبط به إلى حد كبير النجاح أو الفشل فى تحقيق الأهداف العامة للمجتمع، ومن ثم فإن نتائج العمل الإدارى هنا لا تتصل بسمعة المنظمة أو الجهاز المختص وحده، وإنما يمتد أثرها إلى المجتمع بأثره.

٢ ـ أن خطط ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ترتبط ببعضها البعض ارتباطا وثيقا. وأى إخفاق أو توقف فى إحداها يؤثر بالضرورة على غيرها وقد يعرقل خطة التنمية أو يعوقها عن تحقيق أهدافها وفقا للبرنامج الزمنى المحدد.

٣ ـ وبالنسبة للمملكة العربية بالذات يتوافر اعتبار آخر هام، وهو أن الدول الأخرى بآسيا وأفريقيا ترقب عن كثب مجهوداتها وتجاربها وفرص النجاح أو الإخفاق التى تصادفها خلال مرحلة التنمية. والنتائج الناجحة التى تحصل عليها تفيد كثيرا فى تعزيز إيمان هذه الدول بإمكان تطوير أحوالها فى نفس الاتجاه وتنفيذ خطط التنمية القومية لديها، وتحقيق أهدافها.

فإذا مـا أردنا أن نحدد الخطوط الأسـاسية الـتى يمكن أن ترسم لنا التنظيم الإدارى الكفء فى إدارة محو الأمـية وتعليم الكبار، فسوف نجد فى ذلك الجـهد الذى قام به الدكتور عبـدالعزيز القوصى والأستاذ مصطفى خليفـة لوضع هذه الخطوط الكثير مما نأمله ونتوق إلى تحقيقه.

وقام التنظيم المقترح على عدد من المبادئ يمكن إيجازها فيما يلى:[٢٣]

١ ـ المفهوم المعاصر لتعليم الكبار، وهو ما سبق أن أشرنا إليه.

٢ ـ المبـدأ المثلث وقـوامـه: تحديد المسئـوليـة، وتحـديد السلطة، وإطلاق الحـرية فى حدودها، ومن شـأن تحديد المسئـولية فى العـمل أن يتلافى التداخل والتـضارب والتعقـيد، كما أنه يحقق السرعـة فى الأداء واللامركزية فى التبعيـة، وهما أمران من شأنهما توفير عناصر التحرر والانطلاق.

٣ ـ مبـدأ التخصص: بمعـنى أن يكون كل فرع ومن قام عليـه متـخصصـا فى العمل الذى يؤديه أو يشـرف على أدائه قادرا علـى الاستـزادة والتطور، وبالتالى قـادرا على العطاء وعلى الإسهـام وقادرا على التوجيـه، وقادرا بصفة خـاصة على بناء قيادات جديدة واعية ومتفتحة لديها إمكانية الأخذ بكل جديد نافع.

٤ ـ مبدأ التكامل: وهو مـبدأ إدارى معاصر يبيح لكل وحـدة من وحدات العمل أن تقوم بدورها وتؤدى مهامـها وهى على إدراك ووعى بكل عناصر الأداء السليم، وعلى بينة وقـدرة على إحـداث مـا يتطلبـه الأمـر من خلال التنـفيـذ من تعـديل ضرورى يواجـه كل قصور ويملأ كل ثغـرة فى أقل وقت ممكن دون انتظار ودون اللجـوء إلى إجراءات روتينيـة مـعقـدة. وينبع هذا التكامل من طبـيعـة المجتـمع وطبيـعة الفـرد.. فكل منهمـا نسيج مـتكامل، ومن ثم فإن التـعامل مـعه لابد أن يكون أيضا مـتكاملا. ومن مظاهر التكـامل فى التنظيم المقتـرح أن كل وحدة من وحدات التنظيم ستكون مسئولة عن وضع الخطة ومتابعتها.

٥ ـ مبدأ التنسيـق.. وهو مبدأ ضرورى يؤدى إلى تحقيق الشخـصية الإدارية المتكاملة المرتبطة للتنظيم الإدارى العام ويوفر سهولة التعامل بين الوحدات الإدارية ويوفر الوقت اللازم لممارسـة العمل الفنى والإدارى على أحسن صورة، هذا بـالإضافة

إلى ما يتيحه من وعى عام لدى كل وحدة بأعمال الوحدات الأخرى حتى يسير الجهد ويتحقق البذل دون إهدار ومن ثم يتحقق اتجاه الدولة ـ وهو اتجاه سليم وحصيف ـ إلى جعل شئون محو الأمية وتعليم الكبار مرتبطة بلجنة عليا تمثل فيها وزارات وهيئات معينة مما يتطلب ضرورة العمل على وضع التنظيم فى إطار إدارى ووظيفى يتوافق مع هذا الاتجاه الذى يعنى فيما يعنى أن محو الأمية وتعليم الكبار قضية قومية عامة يتصل عملها تأثيرا وتأثرا بمختلف الأنشطة القائمة فى الدولة اقتصادية واجتماعية وثقافية.

وقد اقترح الدكتور القوصى أن تكون هناك وحدات لكل منها مسئولية نوعية كما يلى:

أ ـ مجال التعليم الأساسى: وهو الذى كان يطلق عليه لفظ (محو الأمية) فبالإضافة إلى ما ينطوى عليه هذا اللفظ الأخير من جوانب سلبية، فهو لا يعرف الموقف التعليمى الذى يمارس فى إطاره تعريفا دقيقا، ولذلك يستعيض عنه بلفظ «التعليم الأساسى».

ب ـ مجال الدراسات التثبيتية: ويستهدف تزويد من أنهوا مرحلة التعليم الأساسى ومن يثبت أنهم فى مستوى تعليمى مناسب بالمهارات اللغوية والحسابية والاجتماعية إلى الحد الذى يضمن انطلاقهم وعدم نكوصهم إلى الأمية، بحيث يكون المستوى الذى يصلون إليه معادلا لنهاية الصف السادس الابتدائى ويفتح لهم المجال للالتحاق بمراحل التعليم الأعلى.

جـ ـ مجال الدراسات التعادلية: وغاية هذا المجال إتاحة الفرص للراغبين فى ممارسة الدراسة فى مستوياتها الابتدائية والمتوسطة والثانوية الليلية بما يتعادل ومستويات الشهادات العامة، وبما يؤهلهم أيضا للالتحاق بالدراسات الجامعية وما فى مستواها من دراسات إذا سمحت إمكانياتهم بذلك الاستمرار.

د ـ مجال الدراسات النوعية: ويتجه القصد من هذا المجال إلى فتح آفاق الحصول على المهارات الفنية والاستزادة منها للراغبين فى تمكين أنفسهم من ممارسة العمل على تعدد مستوياته وتقنياته فى مستوى المعاصرة بما يتيح لهم تقدما أسرع

واستمتاعا أكثر بالعمل والحياة وقدرة أشمل على إسعاد أنفسهم وإسعاد ذويهم ومجتمعهم.

هـ ـ مجال التنمية الثقافية: ويكون الاتجاه فى هذا المجال إلى توفير إمكانات التثقيف الذاتى للأفراد جميعا بتزويدهم بشتى عناصر التثقيف الدينى والوطنى والاقتصادى والاجتماعى والفنى فى إطار برامج مدروسة مقننة.

و ـ مجالات شئون البادية: يشكل سكان البدو عددا غير قليل بالنسبة لسكان المملكة وطبيعتهم التنقل ولهم ألوان حياتهم الاجتماعية المتميزة، ومن ثم فإن ما يقدم لهم من خدمات فى مختلف المجالات لابد أن تتنوع أنماطه وأساليبه بما يتلاءم وصور الحياة فى هذه القطاعات، وحتى تتحقق هذه الملاءمة، فإن الأمر يقتضى القيام بدراسات أنثروبولوجية متعمقة وموسعة قادرة على التوصل إلى نتائج تمهد الطريق للتخطيط الأنسب للحملات الثقافية وما يجب أن يصاحبها من عمل اجتماعى.

ز ـ مجال التنمية الفنية: لما كان ميدان العمل فى حقل تعليم الكبار بصفة خاصة فى حاجة ماسة إلى إعداد القيادات القادرة على النهوض بأعباء العمل تخطيطا وتنفيذا ومتابعة، هذا بالإضافة إلى حاجاته (ككل عمل من الأعمال) إلى تطوير هذا الاعداد بما يلاحق مقتضيات التقدم المعاصر، فإن تخصيص مجال لتكوين القيادات وصقلها يصبح ضرورة ملحة.

جـ ـ مجال البحث والتجريب: ويهتم هذا المجال بتوفير عناصر المعرفة التى تساعد على وضع المخططات وتنفيذها وتقويمها على أسس سليمة.

ط ـ مجال العون الذاتي: ويتمثل هذا الهدف فى هذا المجال فى تشجيع الجهود الأهلية المبذولة فى مجال تعليم الكبار ومعاونتها على أداء رسالتها وتنظيم أساليب العون الذاتي.

ى ـ مجال المواد والوسائل التعليمية: ويهتم بتخطيط ما تحتاج إليه مختلف المجالات من مواد ووسائل تعليمية.

ك ـ مجال التعليم بالمراسلة: ويهدف عادة إلى إتاحة الفرص للراغبين فى الحصول

على الشهادات العامة والذين لا يتيسر لهم الحضور إلى المدارس الليلية لممارسة الدراسة بالمراسلة بمجالات أوسع من ذلك، إذ لا يتحتم أن تؤدى آخر الأمر إلى شهادات عامة.

ل ـ مجال التقويم: ويتولى إعداد الاختبارات وإجرائها وتصحيحها وإعلان نتائجها وتحليل هذه النتائج وتقويم صلاحية الاختبارات ذاتها.

م ـ شئون السكرتارية.

ن ـ الشئون المالية والادارية.

والحق أن المهمة الضخمة الملقاة على عاتق الجهات المسئولة عن محو الأمية وتعليم الكبار بالمملكة توحى بوجوب اقتراح (وزارة) خاصة بذلك، لكن التدرج أنسب فى تحقيق النمو بالتنظيم المعاصر فى إطار تنظيم قادر على تحقيق الانطلاق الأوسع.

سلبيات يجب أن تزول

إن مستقبل محو الأمية وتعليم الكبار فى المجتمع السعودى تعترضه عقبات تتمثل فى عدد من السلبيات التى تحول بينه وبين الإسراع فى القضاء على هذه المشكلة قضاء يخلص المجتمع من أكبر قيد فى طريق الانطلاق نحو غد أكثر إشراقا، أما هذه السلبيات، فيمكن الإشارة إلى عدد هام منها فى الصفحات القليلة الآتية:

١. نقص المعلومات السكانية:

إن مجرد التغيير الذى يحدث فى حجم السكان فى مجتمع من المجتمعات أو دولة من دول أو حتى فى العالم ككل من شأنه أن يخلق أوضاعا اجتماعية مختلفة، الأمر الذى يتطلب الاهتمام بدراسة هذا التغير لما يرتبط بذلك من محاولة للتوفيق بين التغير الحادث وبين الأوضاع الاجتماعية السائدة فى المجتمع، فالزيادة السريعة بين سكان مجتمع حضرى تصاحبها فى الوقت نفسه الحاجة السريعة إلى المدارس والمعاهد ومراكز التدريب والملاعب للصغار ووسائل تمضية أوقات الفراغ للكبار، وعلى العكس من ذلك تظهر كثير من المشاكل الأخرى التى تتعلق بالمجتمعات التى

يتضاءل عدد سكانها كما يحدث فى بعض المجتمعات الريفية والبدوية وذلك حين يصعب أن يتوافر لها الكثير من الخدمات وعلى رأسها الخدمات التعليمية(٢٤).

وهذا المثال السابق يوضح لنا كيف أصبح كل مواطن يشعر فى الوقت الحاضر أن أى تغير فى حجم السكان في المجتمع الذى يعيش فيه أو في بلده أو وطنه عامة، من شأنه أن يؤثر عليه وعلى أسرته بطريق مباشر أو غير مباشر وهذا الشعور يدعوه بالتالى إلى الاهتمام بما يحدث من تغيير وتتبع نتائجه.

وهذا الذى قلناه عن (حجم السكان) يمكن قوله عن (توزيع السكان) وكذلك عن (الخصائص السكانية).

ومن هنا تظهر لنا ضرورة أن يتوافر بين أيدى العاملين فى ميدان التخطيط لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ شأنهم فى ذلك شأن العاملين فى كافة مجالات التخطيط بصفة عامة والتخطيط التربوى بصفة خاصة ـ البيانات السكانية التى بدونها يصبح العمل قائما على أساس غير علمى، ومن ذلك مثلا عدد السكان الإجمالى لأنه يتيح لنا الفرصة لاستخراج نسبة من هم فى سن التعليم الابتدائى أو الثانوى أو العالى إلى مجموع السكان، ونسبة مجموع من هم فعلا فى مراحل التعليم المختلفة إلى مجموع السكان. ولهذه النسب شأن فى معرفة الأوضاع التربوية ومن ثم معرفة الأعداد الحقيقية لمن لم يلتحقوا بأية مرحلة من مراحل التعليم. ومن البيانات المطلوبة أيضا توزع عدد السكان الإجمالى تبعا لفئات السن المختلفة، ذلك أننا إذا عرفنا عدد السكان الذين يقعون فى فئة السن المقابلة لمرحلة التعليم الابتدائى (من ٦ ـ ١٢ سنة) وعرفنا عدد الذين التحقوا بالمدرسة الابتدائية بالفعل، أمكن لنا معرفة الأعداد التى تمد جيش الأميين بمزيد من الطاقة.

كذلك يحتاج هذا الميدان أن يأخذ بعين الاعتبار الفوارق القائمة لدى السكان، سواءكانت فوارق جنسية أو فوارق بين الريف والمدينة أو بين البدو والحضر، وذلك حتى يمكننا تلبية الحاجات المختلفة لجميع الفئات التى يمكن أن توجد فى البلد. والمجتمع السعودى، كما هو معروف يضم بين جناحيه العديد من أبناء الشعوب الأخرى.

ثم إن توزيع الجهود اللازمة لمحو الأمية يستلزم أيضا علما بالكثافة السكانية فى كل منطقة خاصة بالنسبة لبلاد مساحتها شاسعة مثل المملكة تتباين فيها الكثافة السكانية بالملاحظة الشخصية العابرة التى تحتاج دون شك إلى سند علمى من الإحصاءات الدقيقة.

وهناك جانب آخر لا يقل عما سبق أهمية، وهو ضرورة معرفة معدل نمو السكان، فعلى أساس هذا المعدل، نقدر عدد السكان المقبل خلال مرحلة الخطة، ونقدر عدد من سيكونون فى سن التعليم الابتدائى فتعمل الدولة على توفير العدد اللازم لهم من الفصول والمدارس فتسد بذلك المنبع الرئيسى الذى يضيف إلى أعداد الأميين أعدادا جديدة عاما بعد عام.. إلى غير ذلك من بيانات سكانية أخرى.

ولابد أن نعترف بأنه ـ إلى هذه اللحظة التى نكتب فيها هذا البحث ـ لم يتوافر للباحثين والعاملين فى هذا الميدان البيانات الدقيقة حول ما يحتاجون إليه من معلومات سكانية، والبيانات المتوافرة، تقديرية لم تقم على أساس إحصائى علمى دقيق. وقد قام بالفعل فى العام الماضى تعداد شامل للسكان فى المملكة ونأمل أن تتوافر المعلومات الخاصة به فى أقرب وقت ممكن.

٢.عدم الدقة فى صياغة الأهداف:

ومن صور عدم الدقة هذا ما قد نطلق عليه فى بعض الأحيان «النزعة الإنشائية» فى رسم الأهداف. و «الإنشاء» فى اللغة اسم على مسمى محمود ومطلوب، ولكن «الإنشاء» الذى نقصده هنا، هو ما جرى عليه العرف من إطلاقه على الكلام الذى يعلو رنينه اللفظى على قيمته الفعلية، أو إذا شئنا التشبيه هو كالعملة النقدية التى يزيد الكم المطروح منها فى سوق التداول، عن احتياطى الذهب الخاص بها. ومن الشائع عنا نحن العرب أننا نبالغ فى استخدام الأوصاف والتعبيرات، ونكثر من الزخرفة اللغوية. ولابد أن نعترف بأن فى هذا قدرا غير قليل من الحقيقة، وأننا لن نستطيع أن ننجح فيما نخطوه من خطوات على طريق التقدم، إلا إذا تخلصنا من هذا أو قللناه بقدر الإمكان. إن الزخرفة اللغوية ليست عيبا فى حد ذاتها ولغتنا العربية بطبيعتها، تزهو على اللغات الأخرى بقدرتها الفائقة على هز المشاعر والأحاسيس

بموسيقاها ولكن عندما يكون هذا فى موقعه ومجاله، فلا بأس.. إن مجال العمل العلمى بالذات، إنما يحتاج إلى العبارات البسيطة والكلمات المحددة والمصطلحات التى تحيط بمسمياتها إحاطة دقيقة.

والمستقرىء لعدد من المشروعات والخطط التى أعدت لمحو الأمية وتعليم الكبار يجد مثل هذه النزعة تطل برأسها بصورة لا تخطئها العين. كما يلمس مظهرا آخر وهو العمومية الشديدة فى الصياغة اللفظية، من ذلك ما جاء فى مشروع الخطة العشرينية من أن أهدافها (إعداد المواطن المستنير ليتمكن من إفادة نفسه والإسهام فى النهوض بمجتمعه). فهدف مثل هذا هدف ضخم، يجب العديد من الأهداف، لأنه يشمل كل شئ وهو يحتاج إلى التحديد والتوضيح، فكل مجتمع فى سابق الأزمنة وحاليها ومستقبلها يستهدف ذلك.

إن الذى ينتزع أرضا عربية من صاحبها العربى، مواطن صالح فى إسرائيل، ولكنه مجرم فى نظرنا.. والذى يؤمن بالله مواطن صالح فى نظرنا، ولكنه فى الاتحاد السوفيتى غير ذلك ـ ومن ثم فإن العملية تقتضى منا أن (نفك) هذا الهدف إلى أهداف أخرى جزئية تشير إلى مواصفات يحتاجها المجتمع السعودى بصفة خاصة وتميزه عن غيره من المجتمعات، بالإضافة إلى المواصفات الأخرى التى يشترك فيها مع غيره من المجتمعات.

كذلك يجئ فى اللائحة التنفيذية لنظام تعليم الكبار هدف مثل «تنمية حب الله وتقواه فى قلوب الدارسين وتزويدهم بالقدر الضرورى من العلوم الدينية». وهو هدف لا شك عظيم، بل ليس هناك ما هو أعظم منه ولكن أليس من الضرورى إذا رسمنا هدفا، أن نقف فترة لنتساءل عما إذا كنا قد نجحنا فى تحقيقه أم لا؟ فإذا ما جئنا إلى الشق الأول من هذا الهدف، كيف نعلم إذا كان قد تحقق أم لا؟ لابد من معايير.. والمعايير قد تعجز عن قياس الأهداف كثيفة المعانى ما لم تحلل إلى صفات سلوكية إجرائية.

ان هذا يتفق إلى حد كبير مع عديد من الدراسات التى قام بها عدد من علماء الاقتصاد والتنمية، إذ تظهر بعض هذه الدراسات أن المخطط قد لا يستطيع أن يفعل

شيئا فيما يتعلق بضعف الجهاز الادارى أو بتقصير بعض القيادات فى تأييدها السياسى أو رغبتها فى تحقيق التنمية. ولكن إذا أهمل عند إعداد خططه هذه العوامل الحاسمة التى تعتبر فى مجموعها أهم ما يعوق أغلب الدول الأقل نموا فى تحقيق إمكانياتها الاقتصادية فإن الأمر ينتهى به إلى عزل نشاطه وما يضعه من خطط عن الواقع المحيط باجهزة التخطيط(٢٥).

وهذا ما يحدث بالفعل فى كثير من الدول الأقل نموا، فالخطط الإنمائية فى هذه الدول تعتمد أساسا على إمكانيات الدولة الاقتصادية أو على احتياجاتها المستمدة من نمو سكانها، ولكن هذه الخطط ذات علاقة ضئيلة بما تتمتع به البلد من قدرة إدارية أو بما يتوافر لدى بعض السلطات من رغبة فى تنفيذ الأمر، الذى يجعل من تلك الخطط أدوات للتشجيع والحث على العمل وليست برامج للعمل. لذلك فليس من المستغرب أن يعجز التخطيط حينئذ عن بلوغ أغلب أهدافه. فتحديد هذه الأهداف اعتمادا على ما هو فى حيز الامكان أو ما هو مرغوب فيه، دون اهتمام يذكر بما هو محتمل، إنما يؤدى إلى مغالاة لا تتيح الفرصة لتلك الأهداف كى تتحقق بالفعل.

ولكى يستطيع القائمون على التخطيط وضع أهداف واقعية، فإنه ينبغى عليهم أن يجدوا بشكل أو آخر أسلوبا لقياس القصور الإدارى وقصور الرغبة فى التنمية، وذلك حتي ينجحوا فى خفض الأهداف التى تغالى فى تفاؤلها لاعتمادها على الطاقات الاقتصادية فحسب. وقد يبدو ذلك متعذرا ولكنه ليس مستحيلا.

٣. «الواقع» يولد النظريات:

معروف أن الفصل غير ميسور بين الجوانب النظرية والجوانب العملية، ولكننا نريد أن نؤكد التكامل بينهما، فيجب البدء بمشكلات يشعر بها الدارسون أو يلمسونها فى الميدان عن طريق الدراسة والتطبيق، فبالدراسات الميدانية وجمع البيانات وارتياد الميدان، يجمع الدارسون المشكلات، وعن طريق المناقشة والمعالجة الجماعية تنبثق عن هذه المشكلات التفسيرات والتوضيحات والاستنتاجات المسماة بالدراسة النظرية وتنعكس نتيجة هذه التوضيحات والاستنتاجات المسماة بالنظرية على المشكلات لزيادة توضيحها وجلائها، وبذلك لا نبدأ بنظريات ثم ننتقل إلى

تطبيقها على الميدان بصورة تبدو فى الغالب مصطنعة، وإنما نبدأ بالواقع المشكل وننتقل منه إلى النظر والتحليل، ثم نعود إلى الواقع ببصيرة أعمق، وهكذا نجد أن النظر والعمل يثرى كل منهما الآخر دون أى فواصل.

أما الجوانب العملية للمنهج، فتتمثل فى دراسة منطقة من المناطق مثلا دراسة ميدانية، وتنظيم حملات ومعاناة التدريس فى الفرق الدراسية وفق الطرق والكتب والمناهج، والعمل على إنتاج الوسائل المعينة والتدريب على جمع البيانات من الميدان ومحاولات ذاتية للتفسير، كل هذا فى ميدان محو الأمية.

ولكن هناك كذلك تعليم الكبار فى مناطق البدو وتعليم الكبار من أصحاب المهن وهؤلاء لهم مشكلاتهم التعليمية التى يمكن للدارسين لمسها وارتيادها. يأتى الدارسون بمشكلاتهم للمركز المقترح عندما يتم إنشاؤه، ويقابلون الأساتذة ويجلسون معا لدراستها ودراسة النظريات التى تجلوها وتوضحها وتقترح الحلول لها، وهذه هى الدراسة النظرية تجئ منبثقة من الواقع العملى، وقد يقال أن هذه الطريقة تفتقد النظام والتنظيم، أو قد يقال أنها طريقة صعبة لا يحذقها إلا نوع خاص من الأساتذة، ولكن إذا سلمنا بصعوبتها، فإن أحدا لا يعترض على سلامتها وصحتها(٢٦).

٤. «الالزام» فى التعليم:

وجه الحقيقة فى قضية الأمية أن جمهور الأميين الكبار هم الذين يشكلون فى الوقت الحاضر حجم الأمية، ويضاف إليهم باستمرار الأطفال الصغار من الأجيال الجديدة التى لا يتاح لها فرصة التعليم، بينما يتناقص عدد الأميين الكبار فى الجيل الحالى نتيجة وفاة كبار السن منهم. ومن ثم فالأمر يحتاج إلى عمل فى جبهتين معا: جبهة الصغار من الجيل الجديد، وجبهة الكبار من الجيل الحالى(٢٧).

ولعل من أهم الوسائل وأنجحها فى العمل فى الجبهة الأولى وهى جبهة الصغار، تحقيق مبدأ «إلزامية التعليم» فى المرحلة الابتدائية على الأقل، ذلك المبدأ غير المطبق حاليا.

وإذا كان القرآن الكريم لم يرد به نص على وجوب التعليم على الصورة التى

نألفها الآن ولا يوجب الحديث مثل ذلك، ولم يعهد عن الصحابة والتابعين أنهم أوجبوا على الناس تعليم أبنائهم بإرغامهم على إرسالهم إلى الكتاتيب أو استحضار المعلمين لهم، ولكن الظروف الحالية التى تحياها المجتمعات الإسلامية بصفة عامة تحتم علينا الاجتهاد فى استنباط أحكام تجعل هذا الوجوب ممكنا، ذلك أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبة أيضا لضرورتها فى الصلاة، وأن الوالد مكلف تعليم ابنه القرآن والصلاة لأن حكم الولد فى الدين حكم أبيه. وقد أفتى (القابسى) بأنه إذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبناءه بنفسه، فعليه أن يرسلهم إلى الكتاب لتلقى العلم بالأجر، فإذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم فأقرباؤه مكلفون بذلك، فإذا عجز أهله عن نفقة التعليم، فالمحسنون مرغبون فى ذلك، أو معلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا أو من بيت المال.

وعندما قال القابسى بهذه الفكرة عن إلزامية التعليم، لم يكن الفكر التربوى على مستوى العالم قد عرفها بعد. ومن العجيب اذن أن ينفذها الآن الغربيون، ونتأخر نحن المسلمون عن ذلك، وقد سئل الإمام مالك عن طلب العلم أواجب هو أم لا؟ فقال: «أما على كل الناس، فلا». وروى عن ابن وهب وكان جالسا مع مالك، فحضرت الصلاة فقام إليها فقال له «ما الذى قمت إليه بأوجب عليك من الذى قمت عنه». وقال ابن رشد: «وهذا كلام فيه نظر، كيف يكون طلب العلم على أحد أوجب عليه من صلاة الفريضة؟ فالمعنى عندى (ابن رشد) إن صحت الرواية أنه أراد: ما الذى قمت إليه بأوجب عليك فى هذا الوقت من الذى قمت عنه، لأن الصلاة لا تجب بأول الوقت إلا وجوبا موسعا»[٢٨]. إلى أن قال «وكما يجب على المتعلم التعلم، فكذلك يجب على العالم التعليم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.[البقرة: ١٥٩].

٥.التسرب:

وإذا كانت جهود محو الأمية وتعليم الكبار تنصب على جبهتين جبهة الصغار من جهة، وجبهة الكبار من جهة أخرى، فإن من المؤسف حقا أن هذه الجهود لا تأتى

أكلها كاملا نظرا لتسرب بعض التلاميذ قبل أن يتموا تعليمهم الابتدائى مما قد يرتد بهم إلى حالة الأمية ولتسرب بعض الدارسين فى فصول ومراكز تعليم الكبار أيضا. ومن هنا تتضح أهمية دراسة هذه المشكلة فى كلا الجانبين حتى نصل إلى حصر العوامل التى تكون مسئولة عنها فنعمل على تلافيها وهى:

أ ـ عوامل اجتماعية واقتصادية ونفسية تتعلق بالأميين أنفسهم، وقد تكون هى السبب فى تسربهم من الفصول.

ب ـ عوامل فنية تتعلق بالمنهج أو الكتاب أو الطريقة.

جـ ـ عوامل فيزيقية تتعلق بالمكان الذى يتلقى فيه الدارسون دروسهم.

وقد أشارت دراسة هذا الموضوع إلى أن الجوانب الخاصة بالعمل تعتبر من أكبر المعوقات، أو هى السبب الرئيسى فى التسرب، ومن أهم هذه الجوانب، الدوام الإجبارى بالنسبة للجنود والاضطرار للعمل لزيادة الدخل، وتعارض أوقات العمل اليومى مع مواعيد الدراسة المسائية، وكذلك أشارت هذه الدراسة إلى أن الخجل من التواجد فى الصفوف مع من هم أصغر فى السن دفع البعض إلى ترك الدراسة، بالإضافة إلى ما قد يوجد من نقص فى الشرح من قبل المعلم وصعوبة المناهج وموضوعات الدراسة أو عدم ملاءمتها للدارسين.

ومواجهة هذه المشكلة تقتضى أولا القيام بعديد من الدراسات والبحوث فى المناطق المختلفة[٢٩] لتحديد وحصر الأبعاد المختلفة للمشكلة وتكتيل الجهود للقضاء عليها وجعل هذه الدراسات والبحوث والحلول جزءا لا يتجزأ من المشروعات والخطط التى توضع لمحو الأمية وتعليم الكبار.

٦. أمية غير السعوديين:

ومن المعروف أن هناك أعدادا ضخمة من غير السعوديين يساهمون فى مختلف مجالات العمل، فإذا أضفنا إلى هذا معرفة أن عددا كبيرا من هذه القوى العاملة يعانون هم أيضا من الأمية، أدركنا خطورة هذا الوضع. وخطورة الوضع تأتى من أن برامج محو الأمية وتعليم الكبار عندما خطط لها، بل وعندما بدئ فى تنفيذها خلت الأذهان من إمكان أن تمتد خدماتها لغير السعوديين، واقتصر التصور على أنها تتركز

أولا وبالذات على المواطنين. وليس هناك ما هو أبعد خطأ فى هذا المجال من هذا. صحيح أنه ـ كما سبق أن أشرنا ـ من الطبيعى أن توجه الدولة جهود خدماتها إلى مواطنيها، لكننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن أن هؤلاء الأميين غير السعوديين هم الذين يحملون عبئا كبيرا فى العمليات الإنتاجية المختلفة ومن ثم فإن أى نقص فى الإنتاج مما ينتج عادة عن أمية العامل، سيعود بالتالى بأضراره على الناتج القومى للبلاد، وبالتالى أيضا على المواطن السعودى نفسه.

ومن الصحيح الذى يجب أن نشير إليه أيضا، أن الأنظار قد بدأت تتجه إلى هذه القضية بالفعل وتضعها فى الاعتبار، ولكن استقراء الجهود الفعلية المبذولة يجعلنا نلح فى توجيه الأنظار إليها لأن هذه الجهود ليست بالوزن الذى يتمنى الناس.. إنها تمشى على استحياء، ولعلنا نستطيع أن ننبه إلى أن بذل جهود أكبر لمحو أمية غير السعوديين ربما يكون حافزا آخر يدفع الأميين السعوديين الذين قد يتكاسلون عن الانتظام فى فصول الدراسة إلى الإقبال عليها، ولما يؤدى إليه هذا من تنافس شريف يجعل كل طرف يحاول أن يثبت للآخر أنه ليس أقل شأنا ورغبة فى التعليم وخصوصا أبناء البلد الذين لابد وأن يندفعوا لإثبات أنهم أولى واجدر.

٧.محو أمية النساء:

إننا نجد أنفسنا فى بعض الأحيان مضطرين ـ مع الأسف ـ إلى الحديث فى بعض البديهيات، ذلك أن هناك بعضا من الناس ممن لا يبصرون الشمس فتغيب عنهم بديهيات لا ينبغى أن يبذل جهد كبير فى إثباتها، من ذلك على سبيل المثال قضية «تعليم المرأة» وتربيتها. صحيح أن هذه القضية لم تعد مطروحة للنقاش والبحث فى كثير من المجتمعات لأنهم كانوا قد بدأوا فى مناقشتها من زمن طويل، ولو أن المرأة قد استطاعت فيها بالفعل أن تصل إلى الكثير، إلا أنها مازالت مطروقة في بلادنا. ولسنا فى مجال «تقييم» ذلك بحيث نصدر الحكم بأن هذا المجتمع قد أخطأ، وذاك المجتمع قد أجرم وهكذا، ولكننا فى مجال تسجيلى أكثر مما هو تقييمى بالنسبة لهذه المجتمعات. أما بالنسبة لنا هنا، فالأمر يختلف إذ لابد من التقييم بجانب التسجيل. وإذا كنا نعترف أن هناك جهودا لا تنكر قد بذلت بالفعل فى مجال محو أمية النساء، إلا أننا لو قارنا بين الوزن الذى تمثله المرأة فى المجتمع وبين هذه الجهود، فسوف نجد

بطبيعة الحال بونا شاسعا، وهوة ضخمة.

ولابد من أن اعترف بشعورى ببعض الحرج والحساسية وأنا اطرق هذا الموضوع ذلك أن المجتمعات تتباين فى قيمها وعاداتها وأخلاقياتها، وماهو صالح فى مجتمع قد يعد صالحا فى غيره، ومن ثم فلابد من التزام جانب الحذر فى استخدام معايير مجتمع وتطبيقها على آخر، ولكن الشئ الذى قد لا يختلف عليه أحد، أن المرأة تشكل النصف الآخر من المجتمع لا نستطيع أن ننسى أن السنوات الأولى التى تتشكل فيها بذور شخصيتنا ونتشرب فيها المبادئ الأساسية للحياة، وتمتص فيها القاعدة الأولى للقيم والاتجاهات.. نقضيها بين أحضانها، خاصة فى هذا المجتمع الذى يحمل الرجل فيه العبء الأكبر فى العمل فيقضى بالتالى الوقت الأكبر خارج المنزل تاركا للأم مهمة رعاية الأبناء.

لكل هذه الاعتبارات ـ وغيرها كثير بطبيعة الحال ـ تأتى قضية تعليم المرأة فى مقدمة القضايا التربوية والاجتماعية من حيث الخطورة والأهمية. ونكرر مرة أخرى: هل الجهود المبذولة تعكس هذه الأهمية؟ وبطبيعة الحال هناك العديد من العقبات «الاجتماعية» التى تقف فى سبيل ذلك والتى لابد من مناقشتها للوقوف على ما هو صحيح وسليم فيها وما هو خاطئ، فلا نجعل ما هو خاطئ حجر عثرة يحول بيننا وبين تحقيق هدف عظيم كهذا. وأخطر ما يمكن أن يقابلنا فى هذا المجال عادات اجتماعية تكون قد تسربت إلينا من عهد التخلف والتفكك والضعف فى القرون الماضية. والتمييز بين هذا وذاك ليس متيسرا لكل الناس ويحتاج إلى حيطة كبيرة وذكاء عظيم، وإيمان أعمق.

٨. قضية المناهج:

ومن المعروف أن «العلم التربوى» يستخدم مفهوما للمنهج يغاير إلى حد ما العرف الجارى فى استخدام هذه الكلمة، وما نقصده هنا هو العرف الجارى الذى يجعلها تعنى «المقرر». ومن المعروف أيضا أن الدارسين يتنوعون مهنة وسنا وبيئة وجنسا ومن ثم فلابد أن تتنوع المناهج وفقا لهذا. ولعل أشد الأخطاء خطرا، تلك التى وقعنا فيها من قبل عندما تصورنا أن المقررات التى ندرسها للصغار يمكن أن

تصلح أيضا لتعليم الكبار، ومن حسن الحظ أن ننبه الجميع لهذا على وجه التقريب، لكن مازالت هناك أوجه قصور لم تتم معالجتها بعد، خاصة إذا علمنا أن المناهج التى تدرس للكبار فى المجتمع السعودى يراعى فيها إتاحة الفرصة لهم لكى يتابعوا مواد الدراسة بالمرحلة المتوسطة، وهذا يعنى ضرورة وجود تشابه كبير يكاد يقرب من التماثل فى بعض المواد مما يجعل المبدأ الذى بدأنا به لا يراعي بدقة.

ولعل من الصعاب التى تعترض هذا، ما يدلنا عليه استقراء واقع الكثافة الفصلية فى مراكز تعليم الكبار ومحو الأمية حيث لا تتجاوز فى كثير من الأحوال عشرة طلاب فى الفصل الواحد يختلفون عمرا وبالتالى يكون متعذرا تخصيص منهج لكل فئة عمرية.

ولابد أيضا من أن نشير إلى أن التنويع البيئى والمهنى يكاد يكون غير موجود، بمعنى تغاير المناهج والمقررات بناء على اختلاف المهن التى يعمل بها الدارسون، واختلافها بناء على اختلاف البيئة سواء كانت بدوية أو حضرية أو ريفية أو ساحلية.

٩.معلم الكبار:

وإذا قلنا أن المناهج يحب أن تتنوع وفقا لما بين الدارسين من اختلافات بيئية أو جنسية أو عمرية أو مهنية، فإنه مما يرتبط بهذا، من هو الذى يستطيع أن يقوم بنقل وتعليم هذه المناهج لهذه الفئات؟ إن البعض يتصور خطأ أن مسألة محو الأمية ما دامت فى جوهرها عملية تعليم للقراءة والكتابة، أصبح من السهل بالنسبة لكل متعلم أن يقوم بها. إننا إذا سلمنا بأن أى عامل لا يستطيع أن يتعامل مع أية آلة، وإنما لابد وأن يكون قد أعد خصيصا لكل منها، فلابد ـ من باب أولى ـ أن نسلم بأن أي معلم لابد وأن يعد خصيصا لكل فئة عمرية من الدارسين. وأبسط ما يمكن لفت الانتباه إليه، أن الكثيرين ممن عزفوا عن الاستمرار فى فصول محو الأمية بالمملكة من الكبار، كان بسبب (صغر) سن المعلم، وخاصة فى مجتمع يعطى (السن) وزنا كبيرا فى التعامل، ولا تسمح كرامة البعض أن يتلقى العلم على يد «معلم» فى سن أبنائه. صحيح أننا كمتعلمين، لا نعرف فرقا فى هذا بحيث يمكن أن نتلقى العلم ممن هو

أصغر منا، ولكن هذا يختلف فى مجتمع الأميين وخاصة عندما تكون الغالبية من البدو. وغنى عن البيان، القول بأن معاملة الكبار تختلف كثيرا عن معاملة الصغار مما يستتبع ضرورة الإعداد الخاص.

ومع الأسف الشديد، فإن الجمهرة الكبرى ممن يقومون بالعمل فى مراكز محو الأمية وتعليم الكبار هم من معلمى المرحلة الابتدائية الذين لم يعدوا خصيصا لهذا العمل. وإذا كان من اللازم أن نعترف بأن جهودا تبذل للتغلب على هذا بالقيام بعقد دورات تدريبية لهؤلاء المعلمين، إلا أنه من الضرورى أيضا الاعتراف بأن هذه الجهود ما زالت دون المطلوب كما وكيفا، كما من حيث شمولها لأكبر عدد من المعلمين، وكيفا من حيث ضعف مستوى، أو قصر فترة التدريب مما لا تتاح معه الفرصة الحقيقية لتكوين معلم الكبار المؤهل لذلك حقيقة. ولعل ما يجب التنبه له أيضا أن عددا كبيرا من هؤلاء المعلمين لا يقبلون على العمل فى هذا المجال لما يتطلبه من مشقة كبيرة وصبر طويل وقيود تحد من حركتهم فى عملية التعليم ليست موجودة بالنسبة للصغار من حيث الضبط والربط والطاعة واستخدام وسائل العقاب.

الهوامش

(١) نجيب اسكندر إبراهيم: بحث فى المتغيرات الاجتماعية ومؤشراتها فى تنمية الموارد البشرية فى المجتمع العربى ،المؤتمر الفكرى الأول للتربويين العرب (بغداد فى ٧ ـ ١٥ يونية ١٩٧٥)، استنسل، ص١.

(٢) صلاح الدين نامق: قضايا التخلف الاقتصادى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨. المقدمة.

(٣) شارل بتلهيم: التخطيط والتنمية، ترجمة اسماعيل صبرى عبدالله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٥.

(٤) عبدالفتاح جلال: التنمية والتعليم فى المملكة العربية السعودية عدد خاص من مجلة آراء فى التعليم الوظيفى للكبار، سرس الليان (مصر) ١٩٧٥، ص٢.

(٥) السيد على السيد: مكانة العلم ومنهاجه ومجالاته فى القرآن. فى المحاضرات العامة للموسم الثقافى ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٥م، الجامع الأزهر، ص٥ ـ ٦.

(٦) ك. يونانى: محو أمية عمال الصناعة، ملاحظات عن الطرائق والأساليب، مجلة آراء فى تعليم الكبار سرس الليان، يوليو ١٩٧١، ص١٩.

(٧) عبدالفتاح حجاج: إعداد العاملين فى تعليم الكبار وتدريبهم. فى (علم تعليم الكبار)، الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار، القاهرة، ١٩٧٦، الجزء الأول، ص ٢٧٥.

(٨) محمد الهادى عفيفى وآخرون: التربية ومشكلات المجتمع، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٨٤.

(٩) شكرى عباس حلمى: تمويل برامج تعليم الكبار فى ج.م.ع مع التركيز على برامج محو الأمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٣، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(١٠) اليونسكو، المؤتمر الاقليمى لتخطيط وتنظيم برامج محو الأمية فى البلاد العربية، «التقرير النهائى»، سرس الليان، ١٩٦٥، ص ٣٦.

(١١) محمد الهادى عفيفى: مفهو م تعليم الكبار، فى (علم تعليم الكبار)، مرجع سابق، ص ٥١.

(١٢) كولى فرنر: اطار نظرى لتحديد وتصنيف العمليات فى تعليم الكبار، ترجمة د. محمد اسماعيل يوسف، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥.

(١٣) محمود رشدى خاطر: محو الأمية الوظيفى بين النظرية والتطبيق، فى (محو الأمية الوظيفى فى خدمة التنمية والإنتاج فى البلاد العربية)، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار، سرس الليان ١٩٧٠ ص ٩.

(١٤) محمود رشدى خاطر وعبدالفتاح جلال: تعليم الكبار، تعريف بمجالاته ومؤسساته وطرقه. مجلة آراء في التعليم الوظيفى للكبار، سرس الليان، يناير ١٩٧٢، ص ٦٢ ـ ٦٦.

(١٥) نحو استراتيجية عربية لمحو الأمية وتعليم الكبار. مؤتمر الدوحة ٢٢ ـ ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٧٥. مجلة تعليم الجماهير، الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار، مايو ١٩٧٦، ص ٨٩ ـ ٩٣.

(١٦) مختار حمزة وآخرون:التنمية والتخطيط والتعليم الوظيفى فى البلاد العربية، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى، سرس الليان، ١٩٧٢، ص ٥٦.

(١٧) عبدالله عبدالدايم: التخطيط التربوى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٢.

(١٨) حامد عمار: أسس التخطيط الاجتماعى. مركز التربية الأساسية فى العالم العربى، سرس الليان، ١٩٥٩ ص ١٧.

(١٩) لجنة من خبراء اليونسكو: التخطيط التربوى، نظرة عامة إلى المشكلات والتوقعات، ترجمة منير عزام ، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣ ص ٧٥.

(٢٠) التنمية والتعليم فى المملكة ، ص ١٣١.

(٢١) المرجع السابق، ص١١.

(٢٢) على عبدالعليم محجوب: الإدارة العامة وتنمية المجتمع، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى، سرس الليان، ١٩٦٣، ص٧.

(٢٣) وزارة المعارف: المملكة العربية السعودية: مذكرة عن التنظيم الادارى المقترح في مجال محو الأمية وتعليم الكبار، مقدمة من د. عبدالعزيز القوصى والأستاذ مصطفى خليفة إلى وزارة المعارف بالمملكة فى شوال عام ١٣٩٤ هـ نوفمبر ١٩٧٤.

(٢٤) عبدالحميد لطفى وحسن الساعاتى: دراسات فى علم السكان، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣، ص٢٦.

(٢٥) مذكرة عن المركز الوطنى لتعليم الكبار.

(٢٦) محمد الهادى عفيفى وآخرون: التربية ومشكلات المجتمع، ص ٢٩٥.

(٢٧) أحمد فؤاد الاهوانى: التربية فى الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٠٢ فما بعدها.

(٢٨) وذلك مثل الدراسة التى قام بها فريق من الباحثين فى الدورة التدريبية الإقليمية للمشرفين على برامج محو الأمية وتعليم الكبار عن (أسباب تفشى ظاهرة التسرب فى بعض مدارس مدينة الرياض).